مترجمو الواحدة من مترجمي رباعيّات الخيّام العرب

الدكتور يوسف بكّار
تاريخ التسلُّم: ٢٠٢٠/٠٥/٢٥
تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٠٦/٢٩

الملخص

فلأنه لا يعرف، إلى الآن، العدد الحقيقي لرباعيات الخيّام الأصيلة فإنني أُعُدّ كلّ من ترجم رباعيّةً واحدةً أصيلةً أو منسوبة مترجمًا.

هذا البحث عن أربعةٍ من المترجمين العرب القدماء والمعاصرين الذين ترجموا رباعيةً واحدةً فقط.

فمن القدماء القاضي نظام الدين الأصفهاني من القرن الرابع الهجري، الذي ترجم الرباعيّة المشهورة:

دارنده چو ترکیب عناصر آراست

وعارضها بأربع رباعيّات، لكن الدكتور كامل مصطفى الشيبي رأى أنها محاولات تجريبية أراد الشاعر أن يختار إحداها فأثبتها جميعًا.

ومن المعاصرين، ترجم الدكتور لويس عوض (من مصر) رباعيةً، وهو يقارن بين الشاعر المهجري (إيليا أبي ماضي) وعمر الخيّام؛ وترجم الشاعر الأديب جعفر الخليلي (من العراق) رباعيةً من المنسوب إلى الخيام؛ وترجم الشاعر التونسي الدكتور نور الدين صمود رباعيةً واحدة ستّ مراتٍ للرباعية (٨٩) من ترجمة الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل (عرار) من تحقيقي بعد أن وازن بينها وبين مثيلاتها عند عددٍ من المترجمين العرب وأفاد منها.

-١-

فلا مندوحة، بدءًا، من أن ينبّه، لمن لا يدري، على أنْ ليس ثمّة ديوان أو مجموع واحد عنوانه «رباعيّات الخيّام» كديوان حافظ الشيرازي من الإيرانيين وأبي الطيّب المتنبّي من العرب؛ فالرباعيّات كثيرة، ولا سيّما في النسخ المتأخرة بعد قرنين وأكثر من وفاة الخيّام، التي لمّا يعرف الأصيل من المنسوب منها إليه؛ بيد أنّ عدد المظنون في أصالته منها كثير في تقدير الخيّاميين الإيرانيين الأثبات الذين اصطفى كلّ منهم مجموعة قليلة رأى فيها ظنّ الأصالة أكثر، من مثل: ذبيح الله صفا، ومحمد علي فروغي وقاسم غني، وصادق هدايت، وعلي دشتي، وجلال الدّين همائي.

ومن اللازب، كذلك، أن ينبّه على أن ليس ثمّة ترجمة موحدّة من ترجمات الرباعيّات في الشرق والغرب تضم العدد نفسه من الرّباعيّات باستثناء ما ترجمه بعض المترجمين العرب عن فيتزجيرالد الإنجليزي، بل هي مختارات متباينة ليس غير، وهذا ما لا يعرفه السواد الأعظم في العالم كلّه.

إنّني، لما تقدم، أعدّ كلّ من ترجم رباعية واحدة أصيلة أو منسوبة مترجمًا من مترجمي الرّباعيّات العرب، وعددهم، إلى الآن، أربعة قديمًا وحديثًا.

-٢-

تُعد ترجمة القاضي نظام الدّين الأصفهاني من القرن السّابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) لرباعية واحدة فقط أول محاولة في ترجمة الرّباعيّات إلى العربيّة وغيرها.

هو محمد بن إسحق بن مظهر. من رجالات أصفهان وقضاتها في القرن السّابع الهجري. مدح الخليفة المستنصر العباسي، وكان صديقًا للوزراء الجوينيين في أصفهان وبغداد. اتصل بنصير الدين الطوسي، ووصف رصد "مراغة" الذي أُنشيء في عهده عام ٦٥٧ه. كان يطمح إلى الوزارة دون جدوى. توفي بأصفهان بعد ٦٨٠ه/ ١٢٨١م. من آثاره: شُرف إيوان البيان في شُرف بيت صاحب الديوان (مخطوط) و"نخبه الشّارب

يبدو أنّه استهجن مضمون الرّباعيّة الآتية ولم تعجبه فترجمها ليرد عليها وينقضها في أربعٍ.

والرباعية هي:

دارنـــده چـــو تركيـــب عنـــاصر آراســـت
ازبهرچـــه او فكنـــدش انـــدر كـــم وكاســـت؟
گـــرنيك نيامـــد ايـــن صـــور عيـــب كراســـت
ورنيـــك امـــد خـــرابي ازبهـــر چراســـت؟

وترجمتها: [1]

الصّـــــــانع إذْ أحســـــــن في التّركيـــــــب
لِـــمْ يُخْـــرجْ نظمـــه عـــن التّرتيـــب؟!
إن ســـــــاءَ، فمَـــــــنْ أحـقُّ بالتّثريـــــب
أو أحســـنَ، مـــا الحكمـــة في التّخريـــب؟

وهي من الرّباعي الكامل في وزنه الفارسي الأصيل على «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله» (مفعولُ مفاعيلُ مفاعلين فاعْ).

الترجمة دقيقة وافية بالمعنى وليست حرفيّة. وقد ردّ عليها الاصفهاني بأربع رباعيات من الرباعيّ الأعرج، الذي يختلف "رويّ" شطرة الثالث عن رويّ الشطور الأخرى الموّحد. الأولى:

وعجاله الرّاكب" الذي حقّق كمال أبو ديب رباعيّاته العربيّة فقط ونشرها في كتاب (دار العلم للملايين – بيرّوت ١٩٨٣). وله قصائد كثيرة ورسائل مختلفة في فنون شتّى.

(راجع: كامل مصطفى الشيبي، ديوان الدوبيت في الشعر العربي ٢٨٥ ومصادره. منشورات الجامعة الليبيّة- كلية التربية. طبع دار الثقافة- بيروت ١٩٧٢).

ديوان الدوبيت ٢٨٧؛ ورباعيات نظام الدّين الأصفهاني (نشرة كمال أبو ديب ٨٠).

مـــــا للخيّـــــام لـــــجّ في التّأنيـــــبِ؟
للخَيمـــــة قوّضـــــوا لـــــدى التّطنيـــــب
مـــــا كـــــان لـــــذا الخيّـــــام أن يقلعهـــــا
مهـــــا حَفَـــــزَ الجيـــــوش للتّشرـــــيبِ!

والثانية:

إنْ ينفســـــد الكـــــونُ، ففـــــي التّركيـــــب
للـــــنّفس كـــــمالٌ لـــــك بالتّهـــــذيب
إنْ تَـــــبْنِ لفـــــتح بلـــــدةٍ أبنيـــــةً
عرَّضْـــــتَ لـــــدى الفـــــراغ للتخريـــــب!

والثالثة:

لم يعتمـــــد الطـــــينَ لـــــدى التّركيـــــبِ
إلّا لـــــــيرى مظنّـــــــةَ التّخريـــــــب
مـــــا انصـــــانَ عـــــن الـــــبِلى ربـــــوعٌ عُمِـــــرَتْ
بـــــالنّقْش عـــــلى الحـــــائط والتّـــــذهيب

والأخيرة :[٢]

ورد الشطران الأخيران في نشرة أبي ديبٰ كالآتي:

لا بدّ لذي الخيام أنْ يقلعها
مهما حفر الجيوشُ للتشريب

(التشريب: من شرّبَ الأرضَ أي جعل لها شربات. والشربة: حويض يحفر حول النخلة والشجرة، ويملأ ماء لتروى منه)

لم ترد في "ديوان الدوبيت في الشعر العرّبي".

للـــــنّفس رأى الكـــــمالَ في التّركيـــــبِ
لا الجســـــمُ قصـــــاراه لـــــدى التّرتيـــــب
بالقالـــــــب للطّـــــــاق إلى بانيـــــــهِ
يرميـــــــه إذا آثـــــــر بالتّخريـــــــب

وبدا للدكتور الشيبي، من تكرار الألفاظ في الصّلب والرّوي في الرّباعيّات الثلاث الأولى، أنها ثلاث محاولات تجريبيّة أراد الشاعر أن يختار واحدة منها تفي بغرضه في الرد على الرّباعية الأصل، لكنه لمّا لم يرتحْ لواحدة بعينها أثبتها جميعًا .[٢]

-٣-

للدكتور لويس عوض (١٩١٤-١٩٨٩) مبحث عنوانه «ذريّة الخيّام» في كتابه «دراسات في الأدب الحديث» (دار المعرفة – القاهرة، ط١: ١٩٦١، ص١٦٣-١٦٨) قارن فيه بين قصيدة «الطّلاسم» لإيليا أبي ماضي ورباعيّات الخيّام، وقال: «إن إيليا أبي ماضي حاول أن يكتب لنا في الأدب العربي رباعيّات جديدة تحُلّ محلّ رباعيّات الخيّام المشهورة في الأدب الفارسي أو تكمّلها. فما قصيدة الطلاسم المشهورة ... إلّا معارضة لرباعيّات الخيّام.. أو نسج على غرارها» (ص ١٦٤).

رأى لويس عوض أنّ أبا ماضي قرأ الخيّام في منظومة الشّاعر الإنجليزي فيتز جيرالد لا في الفارسيّة، ولا سيّما الرباعيّة التاسعة والعشرين (٢٩) من الطبعتين الأولى (١٨٥٩) والخامسة (١٩٨٩)، وهي :[٣]

Into this Universe، and why not knowing،

---

١ الطاق: ما جعل من الأبنية كالقوس.

٢ ديوان الدوبيت ٢٨٨ (حاشية).

3 Rubaiyat of Omar Khayyam. Edited by George F. Maine. Glasgow and London 1980

Nor whence، like water willy – nilly flowing:

And out of it، as wind along the waste،

I know not whither، willy – nilly blowing.

وقد ترجمها دليلًا وشاهدًا على ما ذهب إليه ترجمة حرفيّة كما نعتها هو (ص ١٦٥)، وهي (ص١٦٤):

جئـــت إلى هـــذا الكـــون لا أعلـــم لمـــاذا؟
ولا مـــن أيـــن كالمـــاء يجـــري شـــاء أم لم يشـــأ
ومنـــه أخـــرج كـــالرّيح عـــلى الأرض الخـــراب
لا أدري أيّـــان تهـــبّ شـــاءت أم لم تشـــأ

ثمّ قال "وهذا ما قاله أبو ماضي (من الطلاسم) :[١]

جئـــت لا أعلـــم مـــن أيـــن، ولكنّـــي أتيـــتُ
ولقـــد أبصرـــتُ قـــدّامي طريقًـــا فمشـــيت
وســـأبقى ماشـــيًا إن شـــئتُ هـــذا أم أبيـــت
كيـــف جئـــت؟ كيـــف أبْصرـــتُ طريقـــي؟
لست أدري!

واستمرّ يقارن بين الشّاعرين في فكرة «طريق الحياة» عند الخيّام من خلال الفيتز جير الديّة (رقم ٣٠- ص ٦٩ من الطبعة الأولى) دون أن يترجمها، وفي «الحيرة» في المبدأ والمعاد باختلاف «أن الشّاعر العربي يبصر طريقه في حين أنّ الشاعر الفارسي لا يبصر شيئًا» (ص١٦٥). ولفت النظر إلى مسائل أخرى لصيقة بالفلسفة استقاها أبو ماضي من الخيّام لست حفيًّا أن أفصّل القول فيها هنا.

[١] ديوان إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر ١٩٣-٢١٦. دار العودة بيروت (د. ت).

فأمّا الذي لا حَيْدة عنه فهو أن ينبّه على أمرٍ مهم هو أن لويس عوض وسم قصيدة «الطلاسم» بأنّها «رباعيّات» في غير موضع، فقال مثلًا: «ومن النّاس من يردّد هذه القصيدة دون أن يعلم أنّها رباعيّات إطلاقًا، ومنهم من يعلم أنّها رباعيّات، ولكنّه لا يفطن إلى ما بينها وبين رباعيّات الخيّام من صلة أصيلة في (القالب) والمعاني» (ص١٦٣ وانظر ص١٦٤، ١٦٥ كذلك).

إن يكن لويس عوض يقصد «الرّباعيّة» بمعناها المصطلحي الدقيق في الأدب الفارسي، فقصيدة «الطلاسم» ليست «رباعيّات» في أيّ قالب من قوالبها الثلاثة المعروفة: الكامل الموحّد القافية، والأعرج الذي تختلف فيه قافية الشّطر الثالث عن قافيّة الشّطور الأخرى الموحّدة، والكامل المردوف بكلمة أو أكثر في آخر كلّ شطر من الشّطور الأربعة، وإن يكن كلّ مقطع من مقاطع «الطلاسم» الواحد والسبعين (٧١) ينتهي باللازمة «لست أدري»، والمقطع الذي استشهد به لويس عوض أنصع دليل على هذا.

-٤-

وترجم جعفر الخليلي الرباعيّة الآتية التي قال إنّها من المنسوب إلى الخيّام.

والخليلي أديب وصحفي وكاتب عراقي. ولد في النجف عام ١٣٢٢ه/١٩٠٤م وتوفي بدبي في ٢ شباط ١٩٨٥ وإن عاش السنوات الأخيرة من عمره في الأردن: وهو من أسرة معروفة بالعلم والجاه والنضال. كان يعرف الفارسية والإنجليزية.

عمل في التعليم في مناطق كثيرة من العراق، واستقال من «المعارف» في السّنة التي توفي فيها والده، ليعمل في الصحافة. أصدر ثلاث جرائد: «الفجر الصادق» و «الرّاعي» و «الهاتف».

خلف آثارًا في معارف شتّى، تأليفًا وترجمة، تقترب من الخمسين، أشهرها: «موسوعة العتبات المقدّسة»، و «هكذا عرفتهم» (٦ أجزاء) غير أنّه اشتهر بالصحافة والأدب والنقد والتاريخ، لكنه تميّز بالقصّة القصيرة التي يقال إنّه رائدها الأوّل في العراق .[١]

ترجم الخليلي هذه الرباعيّة الفارسية :[٢]

گـــفتی تـــرا عـــذاب خـــواهم فرمـــود
مـــن در عجـــبم کـــه آن کجـــا خواهـــد بـــود
آنجـــا کـــه تـــوئی عـــذاب نبـــود هرگـــز
وآنجـــا کـــه تونیســـتي کجـــا خواهـــد بـــود؟!

فقال:

قلـــت ليَ: إنّنـــي سأُصـــليك نـــارًا فتحـــيَّرت في مكـــان العقـــابِ!
حيـــثما أنـــت لا عـــذابَ، فـــأنىَّ لم تكـــن أنـــت، كي يكـــون عـــذابي؟

الترجمة دقيقة وليست حرفيّة: لم يلتزم فيها بأيّ من ضروب الرباعيّة الأصليّة، بل نظمها في بيتين من بحر الخفيف التّام على روي «البّاء».

-٥-

لشّاعر والأديب التونسي الدكتور نور الدّين صمّود بحث بعنوان «ترجمات [٣]

راجع: مشكور الأسدي: رؤوس أقلام عن الأستاذ جعفر الخليلي. في كتاب الخليلي "هكذا عرفتهم ٤: ٢٣٠-٢٣٢". دار التعارف – بغداد ١٩٧٢, والموقع الالكتروني: https://ar.wikipedia.org.wiki.

[٢] نفحات من خمائل الأدب الفارسي, ٣٣ – بيروت ١٩٦٥.

[٣] راجع عنه:

- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ٥: ٥٦٤-٥٦٥. الكويت. ط٢: ٢٠٠٢.

رباعيّات الخيّام» التفت فيه إلى ترجمة عرار من تحقيقي ، لأن التّرجمة النثريّة في نظره «تكون دائمًا أقرب إلى النّص الأصلي من التّرجمة المنظومة التي غالبًا ما تضطّر صاحبها إلى الحذف والزيادة والتّصرف تحت الضرورة الشّعريّة» (ص١٨٦)، وهو الرأي عينه الذي حدا بعرار أن تكون ترجمته نثريّة وإن حاول أن ينظمها شعرًا. ووهم صمود في عزوه إثبات أصول ترجمة عرار الفارسيّة إليه هو (ص١٨٦)، لأنّني أنا الذي فعل ذلك.[٢]

اكتفى صمّود بالرباعيّة (رقم ٨٩ – ص١٤٨)، التي ترجمها عرار نفسه ترجمتين، فاختار الثانية، وهي:

لقد سمعتُ في السّحر صوتًا مصدره حانتنا
يقول لي: هلمّ أيّها الخليع المجنون
نملأ أقداحنا خمرًا
قبل أن تمتلئ كؤوس حياتنا

وأصلها الفارسي:

آمد سحرى ندا ز ميخانه ما
كاى رند خراباتى و ديوانه ما
برخيزكه پركنيم پيمانه زمى
زان پيش كه پر كنند پيمانه ما

- منصف الوهايبي ومراجعه في: قاموس الأدب العربي الحديث ٨٣٧. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب – القاهرة ٢٠١٥.

مجلة الدراسات الأدبيّة – الجامعة اللبنانيّة – بيروت. العدد (٦٦) – ربيع ٢٠٠٩, ص١٨٣ – ٢٠٢. وأعاد نشره في: فصليّة إيران والعرب – بيروت. السّنة (٨) – العدد (٢٥) – صيف ٢٠١٠, ص١٢٩ – ١٤٥.

[٢] دار البيروني – عمّان. ط٤: ٢٠١٦.

ثمّ جعل يوازنها بنظيراتها في ترجمات نفرٍ ممن ترجموها عن الفارسية من مثل: أحمد رامي، وأحمد الصّافي النّجفي، وإبراهيم العُريّض، وعبد الحقّ فاضل، وطالب الحيدري، وجميل صدقي الزّهاوي؛ وبعض من ترجموها عن فيتزجيرالد: محمد السّباعي، ووديع البستاني، وإبراهيم المازني دون أن تخلو موازناته من تعليق ونقد لصالح ترجمة عرار.

من تلك الرّباعيّات رباعيّة أحمد رامي :[١]

سـمعت صـوتًا هاتفًـا في السّـحَرْ نـادى مـن الحـان: غُفـاة البشرْ:
هُبـوا امـلأوا كـأس الطّـلى قبـل أن تُفْعِـمَ كـأسَ العمـر كـفُّ القـدَرْ

ورباعيّة أحمد الصّافي النّجفي :[٢]

جـاء مـن حاننـا النّـداء سُـحَيْرًا: يـا خليعًـا قـد هـام بالحانـاتِ
قـمْ لـكي نمـلأ الكـؤوسَ مُـدامًا قبـل أن تمـتلي كـؤوس الحيـاةِ

ترجم صمود نفسه الرّباعيّة ذاتها شعرًا عن الأصل الفارسي، كما يقول، مستعينًا بترجمات نثريةٍ وشعريّة على عدّة بحور وقوافٍ (ص ١٩٦)، وذكر ستًّا منها : خمس من بحر المتقارب؛ الأولى ناقصة، فأمّا الأربع الأخرى فثلاث من الرّباعي الأعرج (الثانية والثالثة والخامسة)، والرابعة من الرباعيّ التام الموحّد القافية. أمّا السادسة فمن الرباعي الأعرج على بحر الخفيف. وهي جميعًا:

(١)

رباعيّات الخيّام, ص٣٥. مكتبة غريب –القاهرة ١٩٨٥.

رباعيّات الخيّام (الرباعيّة رقم ٤٧ - ص١٢٨). مصوّرة طهران عن الطبعة الأولى بدمشق (١٩٣١).

سقطت جميعها من بحث "الدراسات الأدبيّة", لكنها موجودة في بحث فصليّة إيران والعرب" (ص١٤٠).

أتاني من الْحانِ، وقتَ السَّحرْ،
نداءٌ يقول: غُفاة البشر!

(٢)

سمعتُ من الْحانِ وقتَ السُّباتْ
نداءً يقولُ: ألا يا غُفاةْ!
أفيقوا لسكْبِ الطِّلا قبل أنْ
تَفيضَ وتمُلأَ كأسُ الحياةْ!

(٣)

سمعت هاتفًا سرى في الظلامْ
يقولُ: أفيقوا غُفاةَ الأنامْ!
لِمَلْءِ كؤوسِ الطِّلا قبل أنْ
تُفيضُ الحياة كؤوسَ الحِمامْ

(٤)

سمعت هتافًا سرى في الظلامْ
يقولُ: أفيقوا غُفاةَ الأنامْ!
لكي ما تُفيضوا كؤوسَ المدامْ
وتستَبِقوا فيضَ كأس الحِمامْ

(٥)

سـمعت نـداءً سرى في الـدُّجى
ينـادي: انهضـوا يـا غفـاةَ الـورى!
لسـكب كـؤوس الطِّـلا قبـل أنْ
تَفـيضَ وتمُـلأَ كـأسُ الـردَى

(٦)

جـاءني صـوتُ هـاتفٍ في الظّـلام
آخـرَ الليـل: يـا غُفـاةَ الأنـامِ!
اسـتفيقوا ولتملـؤوا كـأسَ خمـرٍ
قبـل أنْ تمـتلي كـؤوسُ الحِـمام!

تكاد الرّباعيّة الأولى، لو وصلت كاملة، تكون أدقّ الرّباعيّات السّت ترجمة لورود لفظة «السَّحَر»، فهي الأدّق، لأنّ لفظة (الظّلام) في الرّباعيّات الأخرى لا تؤدي المعنى الذي تؤديه لفظة «السَّحر»، التي حرص عليها من ترجموا الرّباعيّة قبله.